المحاضرة التاسعة في فلسفة الجمال

السنة الثالثة فلسفة **قسم الفلسفة**

الأستاذ : خوضـر رياض

الإتجاه النفسي في تفسير عملية الإبداع الفني

إن مدرسة التحليل النفسي ترفض أن يكون الإبداع الفني مصدره العقل أو الإلهام أو الجانب الاجتماعي بل تذهب إلى أبعد من ذلك وترى في الجانب السيكولوجي أو نظرية اللاشعور هو المصدر الحقيقي لعملية الإبداع

إذن كيف يحدث ذلك ؟

أ – نظرية اللاشعور الفردي (فرويد نمودجا) :

لقدكان الإهتمام بعملية الإبداع عند فرويد أحد أهم المحاور الرئيسية في دراساته ، كما كان موضع إهتمام تلاميذته وأتباعه ، إن آراء فرويد وتفسيراته لعملية الإبداع الفني يمكن أن نجدها بصفة خاصة في بحثي فرويد عن ليوناردو دفنشي << دراسة السيكولوجية الجنسية وديستوفسكي وجريمة قتل الأب >> .

يرى فرويد أن هناك صلة وطيدة بين الإبداع الفني والكبت والعصاب والجنس والتسامي ، إن الفنان شخص منطوي على نفسه يقترب كثيرا من حالة المريض بالعصاب وما الفن إلا وسيلة للتخلص والتنفيس عن كل الرغبات الجنسية التي بداخله المكبوثة ، حيث يرى فرويد أن العقد النفسية والإنفعالات عند الإنسان لها مجموعة من المنافع وهي أحلام اليقظة ، أحلام النوم ، التوتر العصبي والحسي والإنتاج الفني ويمثل الفن وسيلة عند الفنان للتغلب عن الكبث والتوتر أو وسيلة لإخراج هذه المكبوتات عن طريق فعل التسامي ، فالفنان يعبر عن مكبوتاته الجنسية عن طريق الرمز في الفن ، فالفنان يختلف عن المريض العصابي في أن القدرات التشكيلية مثل الإبتكار والتخيل والتذكر التي لديه تتيح له المرونة الكافية لتشكيل صور التسامي والتعبير عن اللاشعور بما فيه من ذكريات مكبوتة تاتي بعضها من مرحلة الطفولة كعقدة أوديب كما يمتاز الفنان بأنه لا يهضم الحدث المؤلم كالعصابي بل يحاول التنفيس عن الكبت وكأنه يقوم بعملية تطهير،فالإبداع الفني يصدر عن العقل الباطن أو

اللاشعور وعمليات الخلق والإبداع الفني ماهي إلا نشاطات يحول إليها مجرى الطاقة الناجمة عن الرغبات الجنسية التي يتعذر إشباعها في الواقع فيستعمل الفنان أعماله الفنية وسيلة للتعبير عن هذه الرغبات وإشباعها في عالمه الافتراضي وهو العالم الفني ، فالفنان يستبدل الرغبات الجنسية التي بداخله والتي هي مرغوبة وقبيحة في المجتمعات بسبب العادات والقيم برغبات أسمى في عالم الفن وهي الرسومات كما ظهر في أعمال ليوناردو دفنشي من خلال أعماله الموناليزا والقديسة أنا وقصة النسر ، فالرمز الفني في اللوحات الفنية عند دفنشي هو عمل سامي للتعبير عن هذه الرغبات حسب فرويد ، كما عبر فرويد عن ذلك بقوله << إنه كانت توجد لدى ليوناردو القدرة على توجيه جزء كبير من قواه الدافعة الجنسية نحو أنواع نشاطاته المهنية أو العملية ، وبمعنى آخر فلقد تسامى ليوناردو دفنشي بالدافع الجنسي نحو أهداف أخرى دات قيمة أسمى ليست ذات طبيعة جنسية ، فبعد أن إستفاد من النشاط الطفلي في خدمة المتعة الجنسية، أصبح قادرا على إعلاء الجزءالأكبر من الليبدو إلى الدافع للبحث والمعرفة >> .

ب - نظرية اللاشعورالجمعي عند كارل يونغ :

اتفق يونغ مع فرويد بأن اللاشعور هو منبع الإبداع الفني لكن اختلف عنه حين قسم اللاشعور إلى شخصي وآخر جمعي يتنقل بالوراثة إلى الشخص حاملا آثار خبرات الأسلاف في حين أن اللاشعور عند فرويد مكتسب وشخصي ، ولقد استنتج يونغ وجود اللاشعور الجمعي وأولويته في إبداع العمل الفني من مظاهر اللاشعور الجمعي في الأحلام وعند الدهانيين وفي بعض الأعمال الفنية وذهب إلى أن الفنان الإنسان الجمعي الذي يحمل لاشعور البشرية وبشكل الحياة النفسية الإنسانية ، ويفسريونغ عملية الإبداع الفني بانسحاب الليبدو من رموزه الإجتماعية التي كان متعلقا بها في الخارج نتيجة لأن هذه الأخيرة لم تعد تصلح لأداء مهمتها وذلك لما أحدثه تطور المجتمع ، وينجم عن هذا الانسحاب أن يتجه الليبدوإلى داخل الشخصية ، ويحدث أحيانا أن يثير أعمق مناطقها فتبرزبعض كوامن اللاشعور ويشهدها الأشخاص العاديون في الأحلام ويشهدها العباقرة في اليقظة ويتعلق الليبدو بهذا البعض الذي برز ، ويزيده بروزا ، بأن يمليه على الفنان ليخرجه في أعماله الفنية رمزا يبدو أمامنا وضوح اللاشعور، فلا

نلبث أن نتعلق به بدلا من الرمز المنهار وعلى ذلك تحدث أزمات إجتماعية عندما ينهار الرمز الذي يقدسه المجتمع

وتظهر مكونات اللاشعور الجمعي في أحلام الأفراد وتظهر عند الفنان بعض مكونات اللاشعور في اليقظة ، فالفنان لابد أن يشبع الحاجة الروحية للمجتمع الذي يعيش فيه ويعيد بذلك التوازن إلى الحقبة التاريخية التي ينتمي إليها ، إن دور الواقع الاجتماعي عند يونغ لا يظهر إلا في مهمة واحدة هي مهمة الدفع إلى الإبداع .

المراجع :

1- علي عبد المعطى : فلسفة الفن رؤية جديدة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان

2- حامد سرمك : تفسير الإبداع ، مجلة الناقد العربي